

(١)

دور المرأة في بناء المجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده
ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
الدين، وبعد:

فإن البشرية لم تعرف ديناً ولا حضارةً عنيت بالمرأة عناية الإسلام بها؛ حيث
اهتمت شريعة الإسلام بالمرأة وأكدت على مكانتها وعظم منزلتها، فقد جعل الله (عزَّ
وجلَّ) الإنسان خليفة في أرضه ذكراً كان أو أنثى، ولم يفرق بينهما، قال
تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ...}، كما أكدت الشريعة الإسلامية على أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة
شقين متكاملين وليساً ندين متصارعين، قال سبحانه: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ
بِالْمَعْرُوفِ...}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)، لكن
المشكلة الحقيقية تكمن في سوء الفهم لبعض نصوص الكتاب والسنة، وفي اقتحام
غير المؤهلين وغير المتخصصين للدعوة أيضاً، فيظهرون الإسلام على أنه يجعل من
النساء إماءً تُباع وتُشتري، وبعض أصحاب الفهم الخاطئ يبنون أحكام المرأة على
الضرورة فلا تتكلم إلا للضرورة، ولا تخرج إلا للضرورة حتى صارت كل أحوال المرأة
تخضع للضرورة.

إن المرأة لها مكانتها، فهي نصف المجتمع ولها دورها في خدمته، فكيف نسمح
بأن يكون نصف المجتمع معطلاً؟!، وعندما ننظر في ديننا الإسلامي الحنيف نجد

(٢)

أنه قد كرم المرأة أمًا وأختًا وزوجةً وبناتًا وإنسانةً ، فهي أمٌ تحت أقدامها الجنة ، فقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يستأذنه في الجهاد ، فسأله أحية أمك؟ فقال الرجل: نعم ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (... الزم رجُلها ، فتمَّ الجَنَّةُ) ، وهي بنت تحجب النار عن أبيها إن أحسن إليها ، وفي ذلك يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَتْ لَهُ أُتْنَى فَلَمْ يَبْدِهَا ، وَلَمْ يُهِنِّهَا ، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ يَغْنِي الدُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهُ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبْنَ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ). وزوجة تكمل نصف دين زوجها يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي).

فالمرأة في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاته الحكيمة تعيش حياةً كريمةً ، فهي والرجل في الإنسانية سواء ، فقد خلَقا من أصل واحد يسعد كل منهما بالآخر ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ، وأوصى بهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) ، ولرفعة شأن المرأة ومكانتها نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عما يفعله بعض الناس من تمييز الأبناء على البنات في المأكل أو المشرب أو الملبس أو المسكن أو المعاملة الكريمة ، فعندما كان أحد الناس يجلس إلى جانب النبي (صلى الله عليه وسلم) فجاءه ابنٌ له ، فأخذه فقبله ، ثمَّ اجلسه في حجره ،

(٣)

وَجَاءَتِ ابْنَةُ لَهُ ، فَأَخَذَهَا فَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (هَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟).

وكما أن للرجل دوراً هاماً في خدمة المجتمع ، فللمرأة كذلك دور لا يقل أهمية عن دور الرجل ، ومن الأدوار المهمة التي تؤديها المرأة في بناء المجتمع:

مشاركتها في العمل والإنتاج ، فالمرأة تعمل بجوار الرجل ، بما يصون كرامتها

ولا يسيئ إليها ، كالتمريض ، والتطبيب ، والتدريس ، والحياكة ، وبعض الأعمال الزراعية وغيرها ، وقد قصّ علينا القرآن الكريم أنموذجاً لعمل المرأة حيث يقول سبحانه: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}.

وقد ضربت السيدة خديجة (رضي الله عنها) أروع الأمثلة في الوقوف بجوار زوجها بمواقف عظيمة دلّت على راحة عقلها وشجاعتها في مواجهة التحديات التي واجهت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأيدته وثبتته وأعانتته على المضي في دعوته ، وكانت تحرص على راحته ، وتطمئن على سلامته ، وتعمل كل ما في وسعها لإسعاده ، فكان الجزاء من جنس العمل، حيث أتى جبريل (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: **بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِنْتِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبٍ**. وكذلك أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) مع زوجها الزبير بن العوام (رضي الله عنه) حيث قالت: **(تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرِ نَاضِحٍ وَغَيْرِ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ...)**.

ومن ثم فإن دور المرأة ، ومسئوليتها تجاه بيتها وزوجها مسؤولية عظيمة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): **(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ**

(٤)

وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...).

ولا يتوقف دور المرأة على مساعدة زوجها فحسب ، بل تعدى دورها إلى

مشاركتها في العمل العام ، فقد ذكر القرآن الكريم أنموذجاً عظيماً للمرأة وحكمتها ، كما ورد في قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) وجنوده ، يقول سبحانه: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهِي كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ لِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}.

وكذلك مشاركتها في الشأن السياسي العام ، ففي العهد النبوي كان للسيدة أم سلمة (رضي الله عنها) دور في معالجة وقوع الصحابة في مخالفة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث أشارت على النبي (صلى الله عليه وسلم) في عام الحديبية بعد صد النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة عن زيارة المسجد الحرام ، والتصالح على أن يعودوا من عامهم بدون أداء للعمرة ، وشعور الصحابة أن بنود الصلح فيها إجحاف لهم ، فلم يبادروا بالتحلل من إحرامهم ، فأشارت على نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن يبدأ هو بنفسه فيتحلل من إحرامه أولاً ، فحينئذ يتحلل الصحابة من إحرامهم خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا ما حدث بالفعل .

ومن ثم فإن دور المرأة له أهميته ، فقد وقفت السيدة نسيبة بنت كعب (أم عمارة) موقف الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أحد حتى

(٥)

أصيبت بالعديد من الطعنات والضربات؛ وقال عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم):
(إنني في غزوة أحد ما تلفت يميناً ولا شمالاً إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دوني) .
إن المشاركة في الحياة العامة والإسهام في القضايا الوطنية لا تقتصر على
الرجال دون النساء ، فدور النساء في العمل الوطني والخيري والتطوعي قد يسبق
عمل الرجال ، فالطبيبات إلى جانب الأطباء ، والمعلمات إلى جانب المعلمين ،
والمهندسات إلى جانب المهندسين ، يكمل بعضهم بعضاً في أداء الرسالة والواجب
الوطني والمهني.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد
(صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أخوة الإسلام:

إن دور المرأة لم يقتصر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي فحسب، بل كانت
حريصة على طلب العلم والاهتمام به منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى
العصور الزاهية بالعطاء والإشعاع العلمي، والإسهام في البناء الحضاري؛ إذ كانت
تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يخص النساء بمجلس علم، فعن أبي
سعيد الخدري (رضي الله عنه)، قال: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه
وسلم)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا
نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا
وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ

(٦)

قال : (مَا مِئْكَنَ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ)
فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَائْتَيْنِ، قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ : (وَائْتَيْنِ،
وَائْتَيْنِ، وَائْتَيْنِ). وغير ذلك كثيرات ممن حملن العلم والحديث رواية ودراية ، منهن
أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) التي تُعدُّ من أكثر رواة الحديث بعد أبي هريرة
(رضي الله عنه) ، وأم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) ، وأسماء بنت يزيد ثالث
امرأة في رواية الحديث بعد عائشة وأم سلمة (رضي الله عنهن أجمعين) ، وأم عطية
الأنصارية التي تُعدُّ من فقيحات الصحابة ، وغيرهن ممن روين الحديث كالصماء بنت
يسر ، وميمونة بنت سعد مولاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ومن ثم تعلمت وعلمت علومًا شتى، فأسهمت إسهامات فعالة في الحركة العلمية
منذ عصر النبوة ، وكان لها دور كبير في تعليم العلوم الشرعية ، واللغوية ، بالإضافة إلى
العلوم الطبيعية كعلم الطب والفلك والرياضيات وغيرها ، فبرزت منهن نساء عالمات ،
وفقيحات، ومحدثات، ومفتيات، وأديبات، وشاعرات، وطبيبات.

وبعد أن تحدثنا عن دور المرأة بصفة عامة فمن الطبيعي أن نخص ما خصه رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله أحد الصحابة قائلاً: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ
صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)،
قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ) ، فبرَّ الوالدين من أعظم الحقوق التي أمر الله تعالى
برعايتها ، حيث جعله الله (عز وجل) في المرتبة الثانية بعد الوفاء بحقِّه سبحانه
في العبادة، فقال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}، وقال
سبحانه: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

(٧)

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى أمرنا بالبر والإحسان إلى الوالدين معاً فإنه سبحانه قد أوصى بالأم خاصة ، وكرر تلك الوصية لفضلها ومكانتها ، ولصبرها على المشقة والتعب ، وما لاقته من صعوبات في الحمل ، والولادة والرضاعة والتربية ، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

وقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الإحسان إلى الأم من مكفرات الذنوب، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ : (هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ). قَالَ لَا. قَالَ : (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ) قَالَ نَعَمْ. قَالَ (فَبِرَّهَا).

وغير ذلك من النصوص التي تؤكد ضرورة الإحسان إلى الأم ، فالأم مصدر الحنان ومنبع الإحسان ، لذلك أوكل الإسلام إليها تنشئة الأجيال وإعدادها ، فهي التي يقع عليها عبء تربية النشء، والله درّ القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها **** أعددت شعباً طيب الأعراق

فطوبى لمن أحسن إلى أمه واجتهد في رضاها ، فرضا الله من رضاها وسخط الله من سخطها.